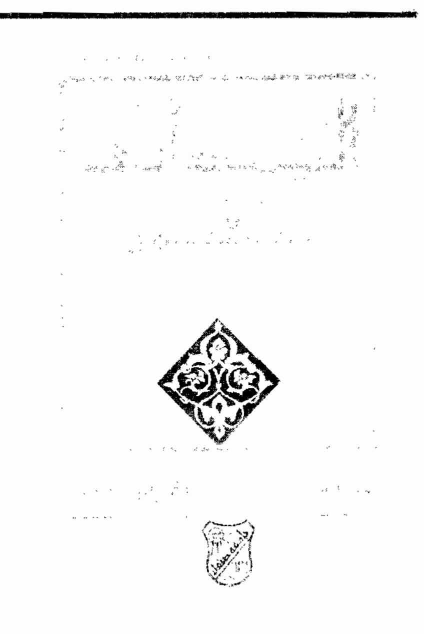


الهمداني لسان اليمن

دراسات في ذكرى الألفية(*)

تأليف: جماعي

تحرير: د. يوسف محمد عبدالله

عرض: أ.د. حسين عبدالله العمري

قسم التاريخ، كلية الآداب

والعلوم الإنسانية - جامعة صنعاء

في عام 1981م ، أشرفت لجنة الهمداني على انعقاد اللجنة العلمية العالمية، بمناسبة الذكرى الألفية للسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، شارك فيها كثيرون من المهتمين والمتخصصين والمتشرقين المرموقين، وفي عام 1986م صدرت الأبحاث التي ألقيت في تلك الندوة في كتاب بالعنوان المذكور، وفيما يلي عرض لهذا الكتاب.

أخيراً أصدرت "جامعة صنعاء" للعلماء والباحثين والمهتمين بفكر علامة العرب الكبير وتراثه في القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد الحسن بن احمد الهمداني، كتاباً مهماً عكف على تحريره ومراجعه طباعة فصوله المختلفة باللغتين العربية والانجليزية الأستاذ الدكتور/يوسف محمد عبد الله أمين عام (لجنة الهمداني) التي أعدت للندوة العلمية العالمية بمناسبة الذكرى الألفية (للسان اليمن) التي عقدت في جامعة صنعاء في (21- 27 ذي الحجة عام1401هـ/19- 25 أكتوبر1981م) وحضرها وشارك في محاوراتها عدد كبير من العلماء والمتخصصين العرب والمستشرقين المرموقين، ولاقت نجاحاً كبيراً

(*) الهمداني: لسان اليمن دراسات في ذكراه الألفية، تحرير د. يوسف محمد عبدالله، منشورات جامعة صنعاء، 1986، 206ص للقسم العربي. 189ص للقسم الإنجليزي.

لتوافر جهود كل المتخصصين في جامعة صنعاء وأعضاء اللجنة التي أولتها الدولة أيضاً اهتماماً خاصاً، فكان رئيسها الفخري نائب رئيس الجمهورية آنذاك الأستاذ/عبد العزيز عبد الغني، ثم لتجمع ذلك العدد من الباحثين الذين كثيراً ما تاقوا إلى اللقاء في ندوة أو مؤتمر خاص بعلَم شامخ كالهمداني الذي لم يلق قبل تلك الندوة ما يستحقه من البحث والدراسة، لتعدد الجوانب والميادين التي أبدع فيها، وكان من أهم نتائج تلك الندوة وفوائدها صدور البحوث والدراسات في هذا الكتاب القيم عن جامعة صنعاء بعنوان (الهمداني لسان اليمن: دراسات في ذكراه الألفية) تحرير الدكتور/يوسف محمد عبد الله، وقد طبعته (دار التنوير للطباعة والنشر- بيروت:1407 هـ/1986م).



تماثل واختلاف:

الكتاب – بعد مقدمة مدير الجامعة الشاعر الدكتور/عبد العزيز المقالح وكلمات افتتاح الندوة – جاء في قسمين:

الأول: (الدراسات بالغة العربية) وفيه تسع دراسات أو فصول، أملت على المحرر طريقته (وهي المثلى) في ترتيبها على الحروف الهجائية وفق أوائل حروف أصحابها في أن تكون (ترجمة الهمداني) آخر تلك الفصول، التي تتناول كل منها جانباً محدوداً من لسان اليمن، ولعل الأوجه أن تكون الترجمة هي أول الفصول تعريفاً ومدخلاً للكتاب، وبخاصة أنها كانت بقلم المحرر نفسه الذي ألتزم الطريقة أو المنهج، منعاً لأي حرج أو سوء فهم لأنه هو المحرر، وقبل ذلك أو بعده لم تكن تلك الترجمة المفيدة في الواقع مجرد تعريف تقليدي بصاحبها، بل كانت صياغة جديدة لحياة علامتنا الهمداني التي سنعرض لها فيما بعد.

أما القسم الثاني: فقد خصص للدراسات التي ستترجم إلى اللغة الانجليزية ثلاثة عشر باحثاً جلهم من المستشرقين والعلماء الأخصائيين في الثقافة والحضارة اليمنية القديمة والعربية الإسلامية، أمثال المرحوم العالم البروفسور/سرجنت (ت:1993)، والمرحوم البروفسور/ألفرد بيستن (ت:1995)، وألبرت جام، والدكتور/رايكمنز، والأساتذة الألمان مادلنج، ويوسف فان إس، والروسي بتروفسكي، والانجليزي الدكتور/روبرت ولسن الذي نال درجة الدكتوراه بعد أن أمضى في اليمن بضع سنوات متتبعاً في دراسته المهمة لأسماء الأماكن في صفة الجزيرة للهمداني، وعن هذا الموضوع كان إسهامه في الكتاب.

لقد رجحت كفه فصول القسم الثاني على القسم الأول، وربما لو تمكن علامة الجزيرة الكبير الشيخ حمد الجاسر المختص بالهمداني وشيخ المؤرخين الدكتور/جواد علي من الحضور والمساهمة، وكذلك لو كتب بالعربية البروفسور/عباس الهمداني نجل المرحوم المؤرخ حسين فيض الله الهمداني إسهامه القيم "الهمداني في بداية سلطة همدان على اليمن"، لكان القسمان مناصفة، بيد أن هذا الاستطراد لا علاقة له بفحوى تلك الدراسات وأهميتها، فالقسم الثاني مكمل لدراسات القسم الأول، والعكس صحيح، ومن ذلك مثلاً ذلك المبحث الذي عقده الباحث العام الدكتور محمد عبد القادر بافقيه عن (الهمداني والمثامنة) الذين "لا يصلح الملك لمن ملك حمير إلا بهم...." يكمله من جانب أخر أول دراسة القسم الثاني للبروفسور/ بيستن عن (الهمداني والتبابعة)، والأمر نفسه مع فارق في التحليل والتوسع المرجعي في تناول الدكتور/ رضوان السيد لموضوع مهم شائك طالما جر على صاحبه المحن والخطوب ذلك هو(القحطانية واليمانية عند الهمداني)، ففي القسم الثاني مبحث للمستشرق بيتروفسكي بعنوان (الهمداني والأخبار القحطانية) وتضفي دراسة الدكتور/يوسف فان اس (أستاذ الدراسات العربية والإسلامية بجامعة توبنجن الألمانية) المعنونة (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر في الفكر السياسي للهادي) أهمية خاصة في هذا القسم لكونها دراسة في الفكر السياسي في العصر الذي نشا فيه الهمداني وعاصر – صغيراً- تأسيس الهادي يحيي بن الحسن (ت 298 هـ - 910م) للمذهب الزيدي في اليمن، ثم محنته بالسجن أيام الناصر احمد بن الهادي(ت325هـ - 937م) لوضعه كتابه المشهور (القصيدة الدامغة) التي عارض بها قصيدة الكميت بن زيد الاسدي(ت126هـ- 743م) ورد فيها على من كانوا يتعصبون على قبائل اليمن.

ومثال أخير للتشابه والتكامل بين دراسات القسمين تلك الدراسات المتعلقة بأحد حقول الهمداني التي أبدع فيها – أعني (الجغرافيا) – ومن أحسنها بحث الدكتور/عبد الله الشيبة عن (أهمية الهمداني للجغرافية التاريخية لليمن القديم) الذي استهله بقول المستشرق النمساوي شبرنجر (ت1893م) قبل أكثر من قرن و ربع قرن من أن "صفة الجزيرة إلى جانب كتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) للمقدسي يعدان أهم عملين جغرافيين قدمهما العرب".

وقد عنى بحث البروفسور فرنر مادلنج أستاذ الدراسات العربية بجامعة أكسفورد- في القسم الثاني- بما يمكن أن يكون توضيحا لتلك العبارة التقريرية لشبرنجر في دراسته عن (معارف الهمداني الجغرافية في ضوء معارف القرنين الرابع والخامس الهجريين/الحادي عشر للميلاد)، فكتابه (صفة جزيرة العرب) الذي نشره المستشرق الألماني موللر قبل قرن (ليدن1884- 1891م) أهم مصدر تاريخي جغرافي عن اليمن والجزيرة في القرون الإسلامية الأولى، كتب في ذروة ازدهار الأعمال الجغرافية العربية قبل (مسالك ابن حواقل)(ت366هـ/977م)، وأحسن التقاسيم (للمقدسي الذي توفي عام380هـ/990م).

وهكذا نجد أن مختلف فصول القسمين يكمل بعضها بعضا، غير أن قيام جامعة صنعاء بنشر بحوث القسم الثاني باللغة الانجليزية "دون ترجمة أو تلخيص نابع من الحرص على التوثيق، ونقل الصورة كما كانت. والجامعة تنوي في الوقت القريب ترجمة هذه الأبحاث إلى اللغة العربية، و نشرها في كتاب مستقل "كما ذكر الدكتور المقالح في تقديمه، فلعلها تفعل ذلك قريبا وفي طبعة قادمة تحوي القسمين معا، فتيسر بذلك للباحثين والقراء العرب الاطلاع على أول دراسة شبه متكاملة عن لسان اليمن و أحد عباقرة العروبة والإسلام.

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

التعريف بالهمداني:

الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني، أبو محمد، لسان اليمن، عالم، مؤرخ، جغرافي، فيلسوف، شاعر، سياسي، ولد بصنعاء في (19صفر280هـ/893م) وبها نشأ، طاف البلاد و الجزيرة العربية، و استقر بمكة أكثر من ست سنوات حين كان في الخامسة والعشرين من عمره بغرض العلم والتحصيل، ورغم تعرضه "لأذى حر مكة و هجيرها إلا أنها - فترة مكة - كانت من أخصب سني التحصيل لديه، حيث تفتحت له آفاق المعرفة، وانفتح له فيها باب نفيس من المنطق فازداد منه" ثم عاد إلى اليمن و بقى بصعدة، قاعدة أئمة الزيدية والمحطة الهامة على طريق التجارة الممتد من أقصى جنوب اليمن عبر مكة إلى بلاد الشام، وكان لاستقرار أوضاع صعده السياسي والاقتصادي- بعكس صنعاء التي كانت نهباً لأكثر من قوة سياسية آنذاك – أهمية خاصة جعلتها " تستقطب كثيراً من العلماء والأدباء والشعراء وطلاب العلم، وكذلك التجار من داخل

اليمن وخارجه، فقامت فيها حركة أدبية وفكرية، وانتعشت فيها التجارة، فكان أن أفاد الهمداني من فنون العلم التي كانت تزخر بها، كما أسهم فيها بنصيب وافر، لاسيما في علوم الأخبار والأنساب والشعر...." وهكذا مال الهمداني إلى الاستقرار بصعدة "وعمر فيها داراً وامتلك عقاراً واستطاب المقام بها" كما ينقل لنا المحرر عن الهمداني.

بيد أن شخصية كالهمداني ما كان يمكنه أن يعيش خاملاً أو في دعه وسكينة، فقد قضى شبابه منذ استقر في صعده ثم كهولته، ليس في محراب الفكر والتأليف فحسب، بل كان له مع رجال عصره من حكام وأمراء وعلماء وشعراء شأن وأخبار وصراع كثير، بلغ ذروته بمحنته الكبرى بقيده وسجنه في قصر صنعاء على يد أميرها أسعد بن أبي يعفر الحوالي بأمر إمام صعده الناصر أحمد بن الهادي يحي بن الحسن، واستمر سجنه ومعاناته واحداً وعشرين شهراً و19 يوماً، بين 24شوال سنة 319و27 شعبان سنة 321هـ، لكنه " لم يبلغ مأمنه بعد إفلاته من حفظته في الطريق، ثم اختبائه إلا في حوالي 17 ذي القعدة من عام 321هـ" ، ويرجح بحق الدكتور/يوسف محمد عبدالله أن مأمنه كان مدينة ريده من بلاد قاع البون على بعد 100كم شمال صنعاء، وفيها قضى الهمداني شيخوخته وبقية عمره (ص196) عاكفاً على مؤلفاته وكتبه التي لم يصل إلينا إلا بعضها، ومن الغريب أن يكون تاريخ وفاته غير معلوم على وجه اليقين، بيد أن التاريخ الشائع الذي ذكره صاعد الأندلسي(ت 462هـ/1070م) في كتابه (طبقات الأمم) وهو عام 334هـ لم يعد صحيحاً، وقد سبق للمؤرخ المحقق القاضي محمد الأكوع أن نبه على ذلك. وهو ما ناقشه العلامة حمد الجاسر في مقدمته النفيسة لطبعة الأكوع(صفة جزيرة العرب) عام 1974م، وعاد إلى بحثه الدكتور/ يوسف محمد عبد الله في آخر ترجمته للهمداني حيث رأى بعد عرضه لكل ما سبق من افتراضات وتخمينات "انه عاش إلى ما بعد 334 وربما بعد 336هـ بسنوات أيضاً، لكن ليس هناك دليل قاطع بذلك (الكتاب ص:198). ولقد أفاد الدكتور/ يوسف محمد عبد الله كثيراً بترجمته الجديدة التي أعاد فيها صياغة المعلومات المبتورة عن حياة العلامة الكبير مستفيداً بشكل خاص من المقالة العاشرة من كتاب (سرائر الحكمة) للهمداني المفقود التي نشرها العلامة الأكوع قبل نحو عشر سنوات، والتي أماطت اللثام عن معلومات وأخبار ذكرها الهمداني عن نفسه، بعضها في معرض وضعه تطبيقات لعلاقات البروج والقرانات

الفلكيــة الــتي يتناولهــا في تلــك الرســالة اليتيمــة الهامــة، كتحديــده تــاريخ مولـده(الـذي لم يكـن معروفـاً)، وذلـك "…. يـوم الأربعـاء 19 مـن صـفر سـنة 280 لعشر سـاعات مـستوية مـن النهـار…. يكـون الطـالع مـن الميـزان احـد عـشر جـزءاً ونـصفاً بالتقريـب…." ثـم يـضيف في نـص الرسـالة تحقيـق مـا ظهـر مـن دلائـل الطالع، وهو أن المولود يصاب بنكبتين عظيمتين مـن الأعداء، ثم يؤرخ لإحداهما بيوم الثلاثاء، يوم أحد عشر من رجب من سنة 315هـ، وثانيتهما "بيوم الاثـنين مـن شهر شوال سنة 319هـ" (ص187) ويذكر لنا الدكتور/يوسف محمد عبد الله في هذا الصدد أن الدكتور/أوسكار لوفجرن أستاذ الدراسات السامية بجامعة أويسالا السويدية قد نقـل عـن القاضـي الأكـوع التنويـه بتـاريخ مـيلاد الهمـداني، لكـن لم يتسن له الإفادة من المقالة المذكورة حين كتب مـادة(الهمـداني) في دائـرة المعـارف الإسلامية الانجليزية. والدكتور/لوفجرن قد سـاهم في الواقـع بدراسـة في القـسم الثاني من الكتاب بعنوان(اكتشافات لتراث الهمداني).



الخسارة الفادحة:

إن الخـسارة الفادحـة في ضـياع كـثير مـن أعمـال الهمـداني لا يعادلهـا أي خسارة، إلا ضياع أو فقـد أعمـال ومؤلفـات لعظمـاء آخـرين أمثالـه مـن أعـلام أمتنـا الذين أسهموا ببنـاء ذلـك النـسيج الحـضاري العربـي الإسـلامي المبـدع الـذي كـان جـسراً وضـوءاً هاديـاً للإنـسانية في طريقهـا إلى عـصر النهـضة عبر ظلمـات الغـرب فيمـا يـسمى بـالقرون الوسـطى، ولقـد كـان – ومـازال الأمـل قائمـاً عنـد البـاحثين والعلمـاء- في العثور على بعض مؤلفـات الهمـداني المفقـودة أو أجـزاء منـها، وذلـك علـى الـرغم مـن أن مؤرخـاً مثـل القفطـــي (ت 626هــ/1229م) قـد أشـار في (إنبـاه الـرواة: 283/1) وقبـل قرابـة ثمانيـة قـرون إلى أنـه مـن المتعـذر وجـود نـسخة كاملـة لأهم مؤلفات الهمداني (لسان الـيمن)، كتـاب (الإكليـل) الـذي يحتمـل أن بعـض أجزائـه الـستة المفقـودة قـد أحرقـت مـن قبـل بعـض القبائـل للمثالـب والخلافـات القبلية التي أشرنا إلى بعضها، ومع ذلك فبعد العثور عليها ونشر الأجزاء الأربعة المعروفـة(1و2و8و10) مـازال أمـل البـاحثين والمهـتمين في العثـور علـى أي جـزء مـن الأجزاء الأخرى قائمـاً، شانها شأن بقية أعماله المفقودة.

لقد كان الهمداني أبرز رجال عصره في اليمن، وأحد عظماء العرب في ذروة الحضارة العربية الإسلامية، وقد نقل لنا المحقق القاضي/محمد الأكوع في موضوعه عن (أوليات الهمداني التي انفرد بها) ما ترجمة المؤرخ اليمني الكبير/محمد بن الحسن الكلاعي الحميري (ت 404هـ/1013م) الذي كان من الجيل التالي بعد الهمداني، وله كتب لا يعلم بعد وجودها، مانصه:

"كان الحسن بن أحمد الهمداني الأوحد في عصره، الفاضل على من سبقه، المتبرزعلى من لحقه، الذي لم يولد باليمن مثله علماً وفهماً ولساناً، ورواية وإحاطة بعلوم العرب من النحو واللغة، والغريب والشعر، والأيام والأنساب، والسير والأخبار، والمناقب والمثالب، مع علوم العجم، والهندسة، والاستنباطات الفلسفية، والحكام الفلكية" (ص111).

وحتى تكتمل صورة الهمداني في هذه العجالة نختمها بشهادة مستشرق عظيم عميق المعرفة، متعدد المواهب، هو العلامة الروسي كراتشكوفسكي (1883- 1951م) الذي رسم لنا شخصية الهمداني "من وجهة نظر استشراقية محايدة " كما وصفها الدكتور/المقالح في مقدمته المركزة، فقد جاء في كتاب(تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب) لكراتشكوفسكي عن الهمداني:

"وفي مصنفاته ترتسم أمام ناظرينا فذة لوطني متحمس، بل خبير كبير بأنساب العرب وتاريخ الجزيرة العربية نفسها، وبخاصة آثارها القديمة، وهو أمر نادر بين العرب، ومما يدعو إلى الدهشة حقاً أنه استطاع فك رموز الكتابة العرب (الحميرية) القديمة في جنوب الجزيرة، ويقف مصنف الإكليل الذي يقع في عشرة أجزاء دليلاً ساطعاً على سعة معارفه. فقد أفرغ فيه جماع معرفته بالأنساب والتاريخ والآثار، بل حتى لأدب الحميريين سكان الجزيرة في القدم. ولم يكتف في كتابه بعرض المادة الأسطورية التي تجمعت في الأدب العربي بعد الإسلام، بل بذل قصارى جهده ليقف منها موقف الناقد، وذلك على ضوء دراسته للنقوش التاريخية".

ذلك هو لسان اليمن، في ذكراه الألفية التي يكون صحيحاً بعد مرور 1125 عاماً من مولده أو 1071 عاماً – تقريباً – من تاريخ وفاته غير المؤكد، نُضيف إليها ثلاثين عاماً هي الفارق بين ذلك المؤتمر في ذكراه الألفية وهذا المؤتمر الثاني بمناسبة الذكرى الأربعين لتأسيس جامعة صنعاء الحفيلة اليوم بذكراه العظيمة عازمة على إعادة نشر ما سبق وما سيُقدم في هذا المؤتمر في اقرب فرصة بإذن الله.